بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

٦٨

مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ

رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ

نَشْأَةُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

هُوَ مُعَاذُ بنُ جَبَلِ بنِ عَمْرِوِ بنِ أَوْسِ بنِ عَائِذِ بنِ عَدَيٍّ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرِوِ بنِ أُدَيٍّ بنِ سَعْدِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أَسَدِ بنِ سَارِدَةَ بنِ يَزِيدَ بنِ جُشَمِ بنِ الخَزْرَجِ.

وَأُمُّهُ هِنْدُ بِنْتُ سَهْلٍ مِنْ بَنِي رَفَاعَةَ، ثُمَّ مِنْ جُهَيْنَةَ.

تُوفِّيَ وَالِدُهُ جبَلُ بنُ عَمْرٍو وَمُعَاذُ لاَ يَزَالُ صَغِيراً. وَتزَوَّجَتْ أُمُّهُ مِنَ الجَدِّ بنِ قَيْسٍ أَحَدِ سَادَةِ بَنِي سَلَمَةَ، وَكَانَ بَخِيلاً شَحِيحاً، وَاضْطَرَّ مُعَاذُ أَنْ يَنْتَقِلَ مَعَ أُمِّهِ إِلَى دِيَارِ بَنِي سَلَمَةَ، وَلَمْ يَكُنْ مُعَاذُ عَلَى رَاحَةٍ فِي بِيئَتِهِ الجَدِيدَةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ زَوْجُ أُمِّهِ الجَدُّ بنُ قَيْسٍ.

وُلِدَ مُعَاذٌ فِي السَّنَةِ العِشْرِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَعِنْدَمَا بَلَغَ سِنَّ الشَّبَابِ أَخَذَ يَبْحَثُ عَنِ المِثَالِيَاتِ، وَيَتَحَدَّثُ عَنْ صِفَاتِ الكَمَالِ عِنْدَ الرِّجَالِ، وَيُظْهِرُ أَلَمَهُ بِمَا يَحْدُثُ فِي المُجْتَمَعِ الَّذِيْ يَعِيشُ فِيْهِ، وَهَذَا مَا فَتَحَ نَوَافِذَ الخَيْرِ عِنْدَهُ، وَهَيَّأَ أَجْهِزَةَ التَّلَقِّي لَدَيْهِ

لِاسْتِقْبَالِ كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَتَقَبُّلِ كُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، وَبِالتَّالِي اسْتَعَدَّ نَفْسِيّاً لِقُبُولِ الإِسْلَامِ.

إِسْلَامُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بَعْدَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الأُولَى أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ مَعَ مَنْ بَايَعَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ إِلَى دِيَارِهِمْ لِيَدْعُوَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَيُبَشِّرَ بِالدَّعْوَةِ، وَيُعَلِّمَ الدِّينَ مَنْ أَسْلَمَ. فَنَزَلَ مُصْعَبٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ أَسْعَدِ بنِ زُرَارَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَخَذَ يَقُومُ بِمُهِمَّتِهِ، وَسَمِعَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِذَلِكَ فَذَهَبَ إِلَيْهِ، وَاسْتَمَعَ مِنْهُ، فَسُرَّ بِمَا سَمِعَ، وَوَجَدَ فِي ذَلِكَ ضَالَّتَهُ، وَرَأَى بِمَا سَمِعَ مَا تَنْشُدُهُ الدُّنْيَا، وَمَا يَتَّفِقُ مَعَ فِطْرَةِ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ فَأَسْلَمَ. وَزَادَتْ لِقَاءَاتُهُ مَعَ مُصْعَبٍ بَلْ لَمْ يَكُنْ يَرْتَوِي مِنْ تِلْكَ الجَلَسَاتِ حَيْثُ كَانَ يَنْهَلُ كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُ عَقْلُهُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيُرِيدُ المَزِيدَ.

وَأَخَذَتْ نَفْسُهُ تَتُوقُ لِرُؤْيَةِ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، الَّذِيْ يَحْمِلُ الخَيْرَ، وَيَدْعُو لَهُ، وَيَسْعَى إِلَيْهِ، وَيَتَصَوَّرُ دَائِماً أَنَّ نُوراً يَشِعُّ مِنْ هَذَا النَّبِيِّ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَتَمَنَّى لَوْ يَتَمَكَّنُ مِنْ أَنْ

يَطِيرَ إِلَى مَكَّةَ لِيَرَى رَسُولَهُ الكَرِيمَ. وَلَكِنْ لَيْسَ بِإِمْكَانِهِ حَتَّى السَّفَرِ فِي أَيِّ وَقْتٍ، فَإِمْكَانَاتُهُ مَحْدُودَةٌ، إِذْ يَعِيشُ فِي كَنَفِ غَيْرِهِ، وَأُمُّهُ قَدْ تُوفِّيَتْ مِنْ قَرِيبٍ، وَرِحْلَتُهُ وَحِيداً صَعْبَةٌ، وَإِنْ كَانَ عُمْرُهُ قَدْ بَلَغَ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ.

وَجَاءَ المَوْسِمُ، وَاسْتَعَدَّ الحُجَّاجُ مِنْ قَوْمِهِ مُسْلِمِينَ وَغَيْرُ مُسْلِمِينَ وَاسْتَعَدَّ مَعَهُمْ، وَانْطَلَقَ الرَّكْبُ، وَوَصَلَ إِلَى مَكَّةَ، وَمَا فَارَقَتْ صُورَةُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، مُخَيَّلَةَ مُعَاذٍ ـ كَمَا تَصَوَّرَهَا ـ طُولَ الطَّرِيقِ.

وَوَاعَدَ المُسْلِمُونَ مِنْ رَكْبِ المَدِينَةِ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، العَقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ لَيْلاً، بَعْدَ الثُّلُثِ مِنْهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَدْ أَمَرَهُمْ أَلاَّ يُنَبِّهُوا نَائِماً، وَلاَ يَنْتَظِرُوا غَائِباً. وَمَا كَانَ لِمُعَاذٍ أَنْ يَنَامَ أَوْ يَغِيبَ فَهُوَ عَلَى أَحَرِّ مِنَ الجَمْرِ لِذَاكَ اللِّقَاءِ.

وَلَمَّا فَرَغَ الحُجَّاجُ مِنْ حَجِّهِمْ، وَنَامَ أَهْلُ المَدِينَةِ فِي رِحَالِهِمْ مُسْلِمُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، وَمَضَى ثُلْثُ اللَّيْلِ مِنْ يَوْمِ المَوْعِدِ، خَرَجَ المُسْلِمُونَ مِنْ رِحَالِهِمْ لِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَتَسَلَّلُوا تَسَلُّلَ القَطَا حَتَّى اجْتَمَعُوا فِي الشِّعْبِ، وَكَانُوا ثَلاَثَةً وَسَبْعِينَ رَجُلاً، مِنْهُمْ اثْنَانِ وَسِتُّونَ مِنَ الخَزْرَجِ، مِنْ بَيْنِهِمْ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً، وَأَحَدَ عَشَرَ مِنَ الأَوْسِ، وَمَعَ الرِّجَالِ امْرَأَتَانِ هُمَا: نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ المَازِنِيَّةُ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ مِنَ الخَزْرَجِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو مِنْ بَنِي سَلَمَةَ مِنْ الخَزْرَجِ أَيْضاً، وَوَافَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِلاَّ عَمُّهُ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ فِي الظَّاهِرِ لاَ يَزَالُ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ.

بَايَعَ الأَنْصَارُ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمْ، رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، بَيْعَةَ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ بَيْعَةُ الحَرْبِ، إِذْ أَنَّ بَيْعَةَ العَقَبَةِ الأُولَى كَانَتْ تُعْرَفُ بِبَيْعَةِ النِّسَاءِ، حَيْثُ لَمْ تَكُنِ الحَرْبُ قَدْ فُرِضَتْ. وَكَانَ ذَلِكَ اليَوْمُ يَوْمَ سَعَادَةِ مُعَاذٍ وَعِيدِه.

وَرَجَعَ الأَنْصَارُ إِلَى المَدِينَةِ، وَأَظْهَرُوا الإِسْلاَمَ، وَأَخَذَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ يُكَسِّرُ أَصْنَامَ بَنِي سَلَمَةَ هُوَ وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ، وَثَعْلَبَةُ بنُ غَنَمَةَ، كَمَا شَارَكَ مُعَاذَ بنَ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ فِي إِلْقَاءِ صَنَمِ أَبِيهِ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ بَيْنَ الأَقْذَارِ.

جهاد معاذ رضي الله عنه

مِنْذُ أَنْ أَسْلَمَ مُعَاذُ بنُ جبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انْصَرَفَ إِلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ. فَقَدْ ذَهَبَ مُعَاذُ وَبِشْرُ بنُ البَرَاءِ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ إِلَى يَهُودَ يَدْعُوانِهِمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَقَالاَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا، فَقَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ وَنَحْنُ أَهْلُ شِرْكٍ، وَتُخْبِرُونَنَا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ، وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ، فَقَالَ سَلاَّمُ بنُ مِشْكَمٍ، أَخُو بَنِي النَّضِيرِ: مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ، وَمَا هُوَ بِالَّذِي كُنَّا نَذْكُرُهُ لَكُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٨٩﴾[١].

وَسَأَلَ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ، وَمُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَخَارِجَةُ بنُ زَيْدٍ نَفَراً مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ عَنْ بَعْضِ مَا فِي التَّوْرَاةِ، فَكَتَمُوهُمْ إِيَّاهُ، وَأَبَوْا

(١) سورة البقرة/ الآية: ٨٩.

أَنْ يُخْبِرُوهُمْ عَنْهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1].

وَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى يَهُودَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَذَهَبَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَكَانَ مِنْهُمْ: سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَعُقْبَةُ بنُ وَهَبٍ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَهُودَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ، وَحَذَّرَهُمْ غِيَرَ اللَّهِ وَعُقُوبَتَهُ، فَأَبَوْا وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ رَسُولِهِمُ الكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَهُ لَنَا قَبْلَ مَبْعَثِهِ، وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ؛ فَأَنْكَرَ يَهُودُ ذَلِكَ، وَقَالَ رَافِعُ بنُ حُرَيْمِلَةَ، وَوَهَبُ بنُ يَهُوذَا، وَكَانَا مِمَّنْ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: مَا قُلْنَا لَكُمْ هَذَا قَطُّ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ مِنْ بَعْدِ مُوسَى، وَلَا أَرْسَلَ بَشِيراً وَلَا نَذِيراً بَعْدَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ:

(١) سورة البقرة/ الآية: ١٥٩.

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

وَشَارَكَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي أَيَّامِ الجِهَادِ كُلِّهَا مَا تَأَخَّرَ عَنْ غَزْوَةٍ وَلاَ تَخَلَّفَ عَنْ سَرِيَّةٍ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ حَتَّى غَزْوَةِ تَبُوكَ آخِرِ غَزْوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. وَغَالِباً مَا يَكُونُ مُعَاذُ قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فِي الغَزَوَاتِ يَسْأَلُهُ وَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ، وَيُنَفِّذُ أَوَامِرَهُ. وَذَلِكَ فِي الحَضَرِ، وَالسَّفَرِ، وَالغَزْوِ، وَيَذْكُرُ مُعَاذُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَلِكَ فِي إِحْدَى الغَزَوَاتِ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوك، فَيَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قِبَلَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ صَلَّى بِالنَّاسِ صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَكِبُوا، فَلَمَّا أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ نَعَسَ النَّاسُ عَلَى أَثَرِ الدُّلْجَةِ[2]، وَلَزِمَ مُعَاذٌ رَسُولَ اللَّهِ، يَتْلُو أَثَرَهُ، وَالنَّاسُ تَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ عَلَى جَوَادِّ[3] الطَّرِيقِ، تَأْكُلُ وَتَسِيرُ، فَبَيْنَمَا مُعَاذٌ عَلَى أَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَنَاقَتُهُ تَأْكُلُ مَرَّةً وَتَسِيرُ أُخْرَى، عَثَرَتْ نَاقَةُ مُعَاذٍ، فَكَبَحَهَا بِالزِّمَامِ، فَهَبَّتْ حَتَّى نَفَرَتْ مِنْهَا نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، كَشَفَ عَنْهُ قِنَاعَهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا لَيْسَ مِنَ الجَيْشِ رَجُلٌ أَدْنَى إِلَيْهِ

(١) سورة المائدة/ الآية: ١٩.

(٢) الدلجة: السير في الظلمة.

(٣) رواه أحمد في مسنده ٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

مِنْ مُعَاذٍ، فَنَادَاهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ: لَبَّيْكَ يَا نَبِيَّ اَللَّهِ، قَالَ: «ادْنُ دُونَكَ» فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى لَصِقَتْ رَاحِلَتَاهُمَا إِحْدَاهُمَا بِالأُخْرَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «مَا كُنْتُ أَحْسَبُ النَّاسَ مِنَّا كَمَكَانِهِمْ مِنَ البُعْدِ». فَقَالَ مُعَاذُ: نَعَسَ النَّاسُ فَتَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ تَرْتَعُ وَتَسِيرُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «وَأَنَا كُنْتُ نَاعِساً». فَلَمَّا رَأَى مُعَاذٌ بُشْرَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَخَلْوَتَهُ لَهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائذَنْ لِي أَسْأَلَكَ عَنْ كَلِمَةٍ قَدْ أَمْرَضَتْنِي وَأَسْقَمَتْنِي وَأَحْزَنَتْنِي، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ، ﷺ: «سَلْ عَمَّا شِئْتَ». قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، لاَ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرَهَا. قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ، ﷺ: «بَخٍ بَخٍ بَخٍ» لَقَدْ سَأَلْتَ بِعَظِيمٍ ـ ثَلاَثاً ـ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الخَيْرَ ـ ثَلاَثاً ـ فَلَمْ يُحَدِّثْهُ إِلاَّ أَعَادَهُ عَلَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ، ﷺ: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرَ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتَعْبدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئَاً حَتَّى تَمُوتَ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ». ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ، ﷺ: «إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ يَا مُعَاذُ بِرَأْسِ هَذَا الأَمْرِ، وَقَوَامِ هَذَا الأَمْرِ، وَذَرْوَةِ السَّنَامِ». فَقَالَ مُعَاذُ: بَلَى، بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَحَدِّثْنِي، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ، ﷺ: «إِنَّ رأسَ هَذَا الأَمْرِ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

وَإِنَّ قِوَامَ هَذَا الأَمْرِ إِقَامَ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ. وَإِنَّ ذَرْوَةَ السِّنَامِ مِنْهُ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَيَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ عَصَمُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «وَالَّذِيْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا شَحَبَ وَجْهٌ، وَلاَ اغْبَرَّتْ قَدَمٌ فِي عَمَلٍ تَبْتَغِي فِيْهِ دَرَجَاتِ الجَنَّةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ المَفْرُوضَةِ كَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلاَ ثَقَّلَ مِيزَانَ عَبْدٍ كَدَابَّةٍ تُنْفَقُ لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ يُحْمَلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

وَبَعْدَ غَزْوَةِ تَبُوكَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مُعَاذاً، وَأَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ، وَمَالِكَ بنَ عُبَادَةَ إِلَى اليَمَنِ، فَسَافَرُوا إِلَيْهَا، وَمَا رَجَعَ مُعَاذٌ إِلَى المَدِينَةِ إِلاَّ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَحَيْثُ كَانَ أَبُو بَكْرٍ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فِي الشَّام:

مَا إِنْ رَجَعَ مُعَاذٌ مِنَ اليَمَنِ حَتَّى اسْتَأْذَنَ الخَلِيفَةَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِالخُرُوجِ لِلْجِهَادِ فِي الشَّامِ فَأَذِنَ لَهُ. رَغْمَ أَنَّ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ رَأَى عَدَمَ الإِذْنِ لَهُ، وَإِبْقَاءُ

مُعَاذٍ فِي المَدِينَةِ خَيْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ، يَسْتَفِيدُ أَهْلُهَا مِنْ عِلْمِهِ، وَقَدْ خَرَجَ جُلَّ الصَّحَابَةِ لِلْجِهَادِ.

خَرَجَ مُعَاذٌ إِلَى الشَّامِ، وَشَارَكَ فِيْ مُعْظَمِ المَعَارِكِ، وَكَانَ بِجَانِبِ أَبِي عُبَيْدَةَ، بَلْ إِنَّ الرَّسَائِلَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ القَائِدِ العَامِ لِلْجُيُوشِ الإِسْلاَمِيَّةِ فِي الشَّامِ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، وَبَيْنَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ كَانَتْ تَحْمِلُ أَحْيَاناً تَوْقِيعَ مُعَاذٍ إِلَى جَانِبِ تَوْقِيعِ أَبِي عُبَيْدَةَ.

وَتُوُفِّي أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي طَاعُونِ عَموَاسَ سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشَرَةَ، فَتَسَلَّمَ مُعَاذُ الإِمْرَةَ مَكَانَهُ، لَـكِنْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تُوُفِّيَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المُؤَاخَــاةُ

بَعْدَ أَنْ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، مِنْ مَـكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ، وَاسْتَقَـرَّ فِـي دَارِ الهِجْـرَةِ آخَـى بَيْـنَ المُسْلِمِيـنَ، مُهَـاجِـرِيهِـمْ وَأَنْصَارِهِمْ، لِيَـكُونُوا كِتْلَةً وَاحِدَةً، وَلَمْ تَـكُنْ تِلْكَ المُؤَاخَاةُ تَهْدِفُ إِلَى المُسَاعَدَةِ المَادِيَّةِ فَحَسْبُ كَمَا يَتَوَهَّمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، بَلْ إِلَى رَبْطِ المُسْلِمِينَ بَعْضِهُمْ مَعَ بَعْضٍ بِوَشَائِجَ أَقْوَى لِيَـكُونُوا مَعَاً أَمَامَ يَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا لاَ يَزَالُونَ فِي المَدِينَةِ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَتَحَـكَّمُونَ فِي شُؤونِهَا المَالِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ وَيَعْقِدُونَ الأَحْلاَفَ بَيْنَ فَرِيقَيْ سَاكِنِيهَا مِنَ الأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، وَيُثِيرُونَ الفِتَنَ بَيْنَهُمَا، وَيَبِيعُونَ السِّلاَحَ لِكِلاَ الفَرِيقَيْنِ. وَإِنْ كَانَ هَذَا لاَ يَمْنَعُ مِنْ أَنْ تَـكُونَ المُسَاعَدَةُ مِنْ بَعْضِ أَهْدَافِ المُؤَاخَاةِ عِنْدَمَا تَضُمُّ أَنْصَارِياً وَمُهَاجِرَاً.

لَمْ تَـكُنِ المُؤَاخَاةُ بَيْنَ مُهَاجِرِيٍّ وَأَنْصَارِيٍّ دَائِمَاً كَمَا يَظُنُّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَرَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، كَانَ وَعَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ أَخَوَيْنِ، وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ بنُ الخَطَّابِ أَخَوَيْنِ وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ وَكَانَ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَزَيْدُ بنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخَوَيْنِ وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ بنُ الخَطَّابِ أَخَوَيْنِ وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ . وَكَانَ الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بنُ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخَوَيْنِ، وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ، وَكَانَ بِلاَلُ بنُ رَبَاحٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَبْدُ اللَّهِ الخَثْعَمِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخَوَيْنِ، وَكِلاَهُمَا مُهَاجِرٌ، وَكَانَتْ مُؤَاخَاةٌ بَيْنَ أَنْصَارِيٍّ وَأَنْصَارِيٍّ، وَبَيْنَ مُهَاجِرِيٍّ وَأَنْصَارِيٍّ. وَيَجِبْ أَنْ نُلاَحِظَ أَنَّ الأَنْصَارَ كَانُوا أَكْثَرَ مِنَ المُهَاجِرِينَ عَدَدَاً بَلْ يَزِيدُونَ عَلَى الضِّعْفَيْنِ، لِذَا لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ المُؤَاخَاةُ بَيْنَ مُهَاجِرٍ وَأَنْصَارِيٍّ دَائِمَاً.

وَقَدْ آخَى رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بَيْنَ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَيْنَ جَعْفَرِ بنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَجَعْفَرُ غَائِبٌ فِي بِلاَدِ الحَبَشَةِ، وَنَتِيجَةَ هَذَا الغِيَابِ فَقَدِ اسْتَبْعَدَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ المُوَاخَاةَ. وَلَمَّا كَانَتْ هُنَاكَ صِلَةٌ كَبِيرَةٌ وَلِقَاءَاتٌ كَثِيرَةٌ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَيْنَ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَدْ عَدَّ هَذَا مُوَاخَاةً بَيْنَهُمَا، غَيْرَ أَنَّ هَذَا كَانَ نَتِيجَةَ أَمْرِ النَّبِيِّ، ﷺ، لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ أَنْ يُقْرِئَ مُعَاذاً القُرْآنَ

الكَرِيمَ. فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ مُعَاذٌ إِلَى النَّبِيِّ، ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرِئْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «أَقْرِئْهُ» فَأَقْرَأْتُهُ مَا كَانَ مَعِي، ثُمَّ اخْتَلَفْتُ أَنَا وَهُوَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَقَرَأَ مُعَاذٌ، وَكَانَ مُعَلِّماً مِنْ الْمُعَلِّمِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

غَيْرَ أَنَّ المُسْلِمَ الغَائِبَ جُزْءٌ مِنَ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ بَعِيداً عَنْ دِيَارِ الإِسْلاَمِ فِي إِقَامَتِهِ، وَلاَ بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَنَالَ مَا يَنَالُهُ بَقِيَّةُ أَبْنَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَبِخَاصَّةٍ إِنْ كَانَ قَدِ ارْتَحَلَ بِأَمْرٍ لأَدَاءِ مُهِمَّةٍ، وَإِنَّ عَدَمَ مُشَارَكَتِهِ فِيْ أَمْرٍ أَسَاسِيٍّ يُعَدُّ تَضييعاً لَهُ، وَجَعْفَرُ وَإِخْوَانُهُ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الحَبَشَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً، قَدْ هَاجَرُوا بِأَمْرٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَبَقُوا هُنَاكَ ـ وَقَدْ رَجَعَ غَيْرُهُمْ ـ بِأَمْرٍ مِنْهُ أَيْضاً، فَلاَ بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مُشَارَكَةٌ فِي هَذِهِ المُؤَاخَاةِ، فَكَانَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ أَخٌ بَيْنَ المُسْلِمِينَ فِي المَدِينَةِ، وَكَانَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ وَجَعْفَرُ بنُ طَالِبٍ، أَخَوَيْنِ، وَجَعْفَرُ غَائِبٌ فِي الحَبَشَةِ، كَمَا كَانَ لِكُلِّ مُهَاجِرٍ فِي الحَبَشَةِ أَخٌ فِي المَدِينَةِ. وَرُبَّمَا يَتَسَاءَلُ بَعْضُهُمْ فَيَقُولُ: إِنَّنَا لاَ نَعْرِفُ مِنْ مُسْلِمِي المَدِينَةِ إِخْوَةَ مَنْ فِي الحَبَشَةِ. وَالجَوَابُ أَنَّنَا لاَ نَعْرِفُ مَنْ فِي الحَبَشَةِ ـ إِلاَّ بَعْدَ المُرَاجَعَةِ ـ حَتَّى نَعْرِفَ إِخْوَتَهُمْ فِي المَدِينَةِ. فَغَالِباً لاَ

يُعْرَفُ إِلاَّ أُمَرَاؤُهُمْ، أَوْ مَنْ ظَهَرَ لِحَادِثَةٍ مِنْ الحَوَادِثِ. فَجَعْفَرُ كَأَمِيرٍ عُرِفَ كَمَا عُرِفَ مَنْ آخَى رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بَيْنَهُمَا، وَهُوَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ.

كَمَا أَنَّ عَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، تَشْرِيعٌ فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُهْمَلَ فَرْدٌ مُسْلِمٌ وَإِنْ كَانَ غَائِبَاً أَوْ بَعِيدَاً عَنِ المُجْتَمَعِ الإِسْلاَمِيِّ حَيْثُ هُوَ أَحَدُ أَبْنَاءِ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ أَيْنَمَا وُجِدَ.

مَكَانَةُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

إِنَّ رَغْبَةَ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِالْعِلْمِ، وَحِرْصَهُ عَلَيْهِ، وَإِمْكَانَاتِهِ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حِفْظٍ وَاسْتِيعَابٍ قَدْ أَهَّلَهُ لِرَفْعِ مَكَانَتِهِ، إِضَافَةً إِلَى حُبِّهِ لِلْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَبُعْدِهِ عَنْ مُغْرِيَاتِ الدُّنْيَا وَغَضِّ النَّظَرِ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَيْهَا.

وَإِنَّ لِقَاءَهُ المُسْتَمِرَّ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالَّذِيْ قَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ الَّذِيْ أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، قَبْلَ الهِجْرَةِ قَدْ مَكَّنَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَا فَاتَهُ.

وَإِنَّ ذَهَابَهُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، لِتَلَقِّي العِلْمَ، وَأَخْذِ المَعْرِفَةَ، وَحِفْظِ مَا جَاءَ بِهِ الوَحْيُّ، هُوَ مَا زَادَهُ عِلْماً.

كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، كَانَ يُرْدِفُهُ خَلْفَهُ يُعَلِّمُهُ، وَقَدْ حَدَّثَ مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ،

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلاَّ آخِرَةَ الرَّحْلِ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلى العِبَادِ»؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً». قَالَ: ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «فَهَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ»؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبُهُمْ»[1].

وَقَدْ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَوْماً بِيَدِ مُعَاذٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ». فَقَالَ مُعَاذُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لاَ تَدَعَنَّ فِي دبَرِ كُلِّ صَلاَةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[2].

(١) رواه أحمد في مسنده ٥/ ٢٤٢.
(٢) رواه أحمد في مسنده ٥/ ٢٤٥.

وَعَرَفَ الصَّحَابَةُ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمْ، عِلْمَ مُعَاذٍ، وَقَدَّرُوا ذَلِكَ، وَأَثْنُوا عَلَيْهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، فِي مَنَاقِبِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى عُمَرُ، وَأَشَدُّهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيٌّ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحَلاَلِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ، وَمَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ، وَلاَ أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ، أَشْبَهَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي وَرَعِهِ» فَقَالَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَاعْرِفُوه لَهُ».

وَهَذَا مَا خَوَّلَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِيَكُونَ مَبْعُوثَ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى اليَمَنِ.

وَبَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، عَلَيْهَا عَتَّابَ بنَ أَسِيدٍ، وَأَبْقَى بِجَانِبِه مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ القُرْآن، وَيُفَقِّهُهُمْ فِي الدِّينِ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ ارْتَحَلَ مُعَاذٌ إِلَى المَدِينَةِ، وَشَارَكَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بنِ سَهْلِ بنِ أَبِي حَثْمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ الَّذِينَ

يُفْتُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، ثَلاَثَةٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ: عُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَثَلاَثَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيٌّ بنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذٌ، وَزَيْدٌ.

وَذُكِرَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يَسْتَشِيرُ مُعَاذًا فِيمَنْ يَسْتَشِيرُ.

وَرَوَى الأَعْمَشُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَشْيَاخٌ مِنَّا أَنَّ رَجُلاً غَابَ عَنِ امْرَأَتِهِ سَنَتَيْنِ، فَجَاءَ وَهِيَ حُبْلَى، فَأَتَى عُمَرَ، فَهَمَّ بِرَجْمِهَا، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: إِنْ يَكُ لَكَ عَلَيْهَا سَبِيلٌ فَلَيْسَ لَكَ عَلَى مَا فِي بَطْنِهَا سَبِيلُ، فَتَرَكَهَا فَوَضَعَتْ غُلاَماً بَانَ أَنَّهُ يُشْبِهُ أَبَاهُ قَدْ خَرَجَتْ ثَنِيَّتَاهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: هَذَا ابْنِي! فَقَالَ عُمَرُ: عَجَزَتِ النِّسَاءُ أَنْ يَلِدْنَ مِثْلَ مُعَاذٍ، لَوْلاَ مُعَاذٌ لَهَلَكَ عُمَرُ.

وَرَوَى البُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبيٍّ، وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ.

فِي اليَمَنِ

بَعْدَ غَزْوَةِ تَبُوكَ جَاءَتْ وُفُودٌ مِنَ اليَمَنِ إِلَى المَدِينَةِ تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْـدُهُ وَرَسُـولُـهُ. وَطَلَبَـتْ مِـنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُمْ إِلَى اليَمَنِ بَعْضَ أَصْحَابِهِ لِيُعَلِّمُوا النَّاسَ هُنَاكَ الإِسْلاَمَ، وَلِيَكُونُوا مُمَثِّلِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ هُنَاكَ.

عَنْ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، إِلى اليَمَنِ، فَلَمَّا سِرْتُ أَرْسَلَ فِي إِثْرِي فَرُدِدْتُ، فَقَالَ: «أَتَدْرِي لِمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ؟ لاَ تُصِيبَنَّ شَيْئاً بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَإِنَّهُ غُلُولٌ ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١٦١﴾[1]. لَقَدْ أُذْعِرْتَ، فَامضِ لِعَمَلِكَ»[2].

وَعَنْ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا بَعَثَنِي النَّبِيُّ، ﷺ، إِلَى اليَمَنِ قَالَ لِي: «كَيْفَ تَقْضِي إِنْ عَرَضَ قَضَاءٌ؟». قُلْتُ:

(١) سورة آل عمران/ الآية: ١٦١.
(٢) سيرة أعلام النبلاء ١/ ٤٤٧.

أَقْضِي بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَبِمَا قَضَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ قَضَى بِهِ الرَّسُولُ؟» قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلاَ آلُو، فَضَرَبَ صَدْرِيَ، وَقَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ».

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ، ﷺ، لَمَّا بَعَثَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ إِلَى اليَمَنِ خَرَجَ يُوصِيهِ، وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، يَمْشِي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «يَا مُعَاذُ! إِنَّكَ عَسَى أَنْ لاَ تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي وَقَبْرِي. فَبَكَى مُعَاذٌ خَشَعاً لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَقَالَ: «لاَ تَبْكِ يَا مُعَاذُ، لِلْبُكَاءِ أَوَانٌ، البُكَاءُ مِنَ الشَّيْطَانِ»(١).

وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ، ﷺ، قَالَ لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ حِيْنَ وَدَّعَهُ: «حَفِظَكَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ، وَدَرَأَ عَنْكَ شَرَّ الإِنْسِ وَالجِنِّ» فَسَارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ: «يُبْعَثُ لَهُ رَتْوَةٌ فَوْقَ العُلَمَاءِ»(٢).

وَقَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَعَثَنِي النَّبِيُّ، ﷺ، خَامِسَ خَمْسَةٍ عَلَى أَصْنَافِ اليَمَنِ: أَنَا، وَمُعَاذٌ،

(١) سيرة أعلام النبلاء.
(٢) المرجع السابق نفسه.

وَخَالِدُ بنُ سَعِيدٍ، وَطَاهِرُ بنُ أَبِي هَالَةَ، وَعَكَّاشَةَ بنُ ثَوْرٍ، وَأَمَرَنَا أَنْ نُيَسِّرَ وَلاَ نُعَسِّرَ[١].

وَقَالَتْ أُمُّ جُهَيْشٍ: بَيْنَا نَحْنُ بِـ (دُثَيْنَةَ) بَيْنَ الجَنَدِ وَعَدَنٍ، إِذْ قِيلَ هَذَا: رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَوَافَيْنَا القَرْيَةَ فَإِذَا رَجُلٌ مُتَوَكِّـئٌ عَلَى رُمْحِهِ، مُتَقَلِّدٌ السَّيْفَ، مُتَعَلِّقٌ جُحْفَةً، مُتَنَكِّبٌ قَوْسَاً وَجُعْبَةً، فَتَكَلَّم وَقَالَ: إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَيْكُمْ: اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا فَإِنَّمَا هِيَ الْجَنَّةُ وَالنّارُ، خُلُودٌ فَلاَ مَوْتٌ، وَإِقَامَةٌ فَلاَ ظَعْنٌ، كلُّ امْـرِيءٍ عَمِلَ بِهِ عَامِلٌ فَعَلَيْهِ وَلاَ لَهُ، إِلاَّ مَا ابْتَغَى بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، وَكُلُّ صَاحِبٍ اسْتَصْحَبَهُ أَحدٌ خَاذِلُهُ وَخَائِنُهُ إِلاَّ العَمَلَ الصَّالِحَ، انْظُرُوا لأَنْفُسِكُمْ وَاصْبِرُوا لَهَا بِكُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا رَجُلٌ مُوفِرُ الرَّأْسِ، أَدْعَجُ، أَبْيَضُ، بَرَّاقٌ، وَضَّاحٌ[٢].

وَعَـنْ مُعَـاذٍ، رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، أَنَّه كَـانَ يَقُـولُ: بَعَثَنِـي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى اليَمَنِ. فَقَالَ: لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِقَبْرِي وَمَسْجِدِي، فَقَدْ بَعَثْتُكَ إِلَى قَوْمٍ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ، يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ مَرَّتَيْنِ؛ فَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مِنْهُمْ مَنْ عَصَاكَ، ثُمَّ يَفِيئُونَ

(١) المرجع السابق نفسه.
(٢) المرجع السابق نفسه.

إِلَى الإِسْلَامِ حَتَّى تُبَادِرَ المَرْأَةُ زَوْجَهَا، وَالْوَلَدُ وَالِدَهُ، وَالأَخُ أَخَاهُ، فَانْزِلْ بَيْنَ الحَيَّيْنِ: السُّكُونِ، وَالسَّكَاسِكِ»[1].

وَعَنْ مُعَاذٍ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «اتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ مُعَاذاً قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ، قَالَ: «لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئاً وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ. وَلاَ تَعُقَّنَّ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مَالِكَ وَأَهْلِكَ. وَلاَ تَتْرُكَنَّ صَلاَةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّداً. فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلاَةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّداً، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ. وَلاَ تَشْرَبَنَّ خَمْراً، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ. وَإِيَّاكَ وَالمَعْصِيَةَ؛ فَإِنَّ بِالمَعْصِيَةِ يَحُلُّ سَخَطُ اللَّهِ. وَإِيَّاكَ وَالفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ، وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ. وَإِذَا أَصَابَ النَّاسُ فَاثْبُتْ وَأَنْتَ فِيهِمْ. وَانْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ. وَلاَ تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَباً، وَأَحِبَّهُمْ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[2].

الفِتْنَةُ فِي اليَمَنِ:

كَانَتِ اليَمَنُ تَحْتَ حُكْمِ سَيْفِ بنِ ذِي يَزَنْ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

(٢) المرجع نفسه.

لِلْفُرْسِ نُوَّاباً فِيهَا، وَمَاتَ سَيْفُ بنُ ذِي يَزَنْ، وَبَقِيَ لِلْفُرْسِ نُوَّابُهُمْ، وَقَدْ اخْتَارُوا مِنْ بَيْنِهِمْ فَارِسِيًّا اسْمُهُ بَاذَامْ عَامِلاً عَلَى اليَمَنِ، بِرَأْيِ كِسْرَى، وَلَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، كُتُبَهُ إِلَى المُلُوكِ وَالأُمَرَاءِ يَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَى الإِسْلَامِ، وَكَانَ كِسْرَى مِنْ بَيْنِ الَّذِينَ وَصَلَتْ لَهُمْ كُتُبُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ. فَلَمَّا جَاءَهُ الكِتَابُ قَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا كِتَابٌ جَاءَ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ بِجَزِيرَةِ العَرَبِ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَلَمَّا فَتَحَ الكِتَابَ فَوَجَدَهُ قَدْ بَدَأَ بِاسْمِهِ قَبْلَ اسْمِ كِسْرَى ـ غَضِبَ كِسْرَى غَضَباً شَدِيداً، وَأَخَذَ الكِتَابَ فَمَزَّقَهُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَهُ. وَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى اليَمَنِ ـ وَكَانَ اسْمُهُ بَاذَامَ ـ أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَابْعَثْ مِنْ قِبَلِكَ أَمِيرَيْنِ إِلَى هَذَا الَّذِي بِجَزِيرَةِ العَرَبِ، الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَابْعَثْهُ إِلَيَّ فِي جَامِعَةٍ، فَلَمَّا جَاءَ الكِتَابُ إِلَى بَاذَامَ، بَعَثَ مِنْ عِنْدِهِ أَمِيرَيْنِ عَاقِلَيْنِ، وَقَالَ: اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَانْظُرَا مَا هُوَ؟ فَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَخُذَاهُ فِي جَامِعَةٍ حَتَّى تَذْهَبَا بِهِ إِلَى كِسْرَى، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَارْجِعَا إِلَيَّ فَأَخْبِرَانِي مَا هُوَ حَتَّى أَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ. فَقَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى المَدِينَةِ، فَوَجَدَاهُ عَلَى أَسَدِّ الأَحْوَالِ وَأَرْشَدِهَا، وَرَأَيَا مِنْهُ أُمُوراً عَجِيبَةً، يَطُولُ ذِكْرُهَا، وَمَكَثَا عِنْدَهُ شَهْراً حَتَّى بَلَغَا مَا جَاءَا لَهُ، ثُمَّ تَقَاضَيَاهُ الجَوَابَ بَعْدَ ذَلِكَ،

فَقَالَ لَهُمَا: ارْجِعَا إِلَى صَاحِبِكُمَا فَأَخْبِرَاهُ أَنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ اللَّيْلَةَ رَبَّهُ، فَأَرَّخَا ذَلِكَ عِنْدَهُمَا، ثُمَّ رَجَعَا سَرِيعاً إِلَى اليَمَنِ فَأَخْبَرَا «بَاذَامَ» بِمَا قَالَ لَهُمَا، فَقَالَ: احْصُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَإِنْ ظَهَرَ الأَمْرُ كَمَا قَالَ فَهُوَ نَبِيٌّ، فَجَاءَتِ الكُتُبُ مِنْ عِنْدِ مَلِكِهِمْ أَنَّهُ قَدْ قُتِلَ كِسْرَى فِي لَيْلَةِ كَذَا وَكَذَا، لِتِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَهُ بَنُوهُ. وَقَامَ بِالمُلْكِ بَعْدَهُ وَلَدُهُ «يَزْدَجِرْدُ»، وَكَتَبَ إِلَى «بَاذَامَ» أَنْ خُذْ لِيَ البَيْعَةَ مِنْ قِبَلِكَ، وَاعْمِدْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ فَلاَ تُهِنْهُ وَأَكْرِمْهُ، فَدَخَلَ الإِسْلاَمُ فِي قَلْبِ «بَاذَامَ» وَذُرِّيَتِهِ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ مِمَّنْ بِاليَمَنِ، وَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، بِإِسْلاَمِهِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، بِنِيَابَةِ اليَمَنِ بِكَمَالِهَا، فَلَمْ يَعْزِلْهُ عَنْهَا حَتَّى مَاتَ. فَلَمَّا مَاتَ اسْتَنَابَ ابْنَهُ «شَهرَ بنَ بَاذَامَ» عَلَى صَنْعَاءَ وَبَعْضِ المَخَالِيفِ. وَبَعَثَ طَائِفَةً مِنْ أَصْحَابِهِ نُوَّاباً عَلَى مَخَالِيفَ أُخَرَ؛ فَبَعَثَ أَوَّلاً فِي سَنَةِ عَشْرٍ عَلِيًّا وَخَالِداً، ثُمَّ أَرْسَلَ مُعَاذاً وَأَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ، وَفَرَّقَ عِمَالَةَ اليَمَنِ بَيْنَ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ فَمِنْهُمْ شَهْرُ بنُ بَاذَامَ، وَعَامِرُ بنُ شِهرٍ الهَمَدَانِيُّ، ـ عَلَى هَمَدَانَ ـ وَأَبُو مُوسَى عَلَى مَأْرِب، وَخَالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ عَلَى مَا بَيْنَ نَجْرَانَ وَرِمَعٍ وَزَبِيدٍ، وَيَعْلَى بنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَى الجَنَدِ، وَالطَّاهِرُ بنُ أَبِي هَالَةَ على عَكٍّ وَالأَشْعَرِيينَ،

وَعَمْرُو بنُ حَرَامٍ عَلَى نَجْرَانَ، وَعَلَى بِلَادِ حَضْرَمُوتَ زِيَادُ بنُ لَبِيدٍ، وَعَلَى السَّكَاسِكِ عُكَّاشَةُ بنُ ثَوْرِ بنِ أَصْغَرَ الغَوْثِيُّ، وَعَلَى السُّكُونِ مُعَاوِيَةُ بنُ كِنْدَةَ. وَبَعَثَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ مُعَلِّماً لِأَهْلِ البَلَدَينِ ـ اليَمَنَ وَحَضْرَمُوتَ ـ يَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فِي سَنَةِ عَشْرٍ، آخِرِ حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَجَمَ هَذَا اللَّعِينُ ـ الأَسْوَدُ العَنَسِيُّ(١).

خَرَجَ الأَسْوَدُ العَنَسِيُّ(٢) فِي سَبْعِمَائَةِ مُقَاتِلٍ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِ النَّبِيِّ، ﷺ، أَيُّهَا المُتَمَرِّدُونَ عَلَيْنَا، أَمْسِكُوا عَلَيْنَا مَا أَخَذْتُمْ مِنْ أَرْضِنَا، وَوَفِّرُوا مَا جَمَعْتُمْ، فَنَحْنُ أَوْلَى بِهِ، وَأَنْتُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ رَكِبَ فَتَوَجَّهَ إِلَى نَجْرَانَ فَأَخَذَهَا بَعْدَ عَشْرِ لَيَالٍ مِنْ مَخْرَجِهِ، ثُمَّ قَصَدَ إِلَى صَنْعَاءَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ شَهْرُ بنُ بَاذَامَ فَتَقَاتَلاَ، فَغَلَبَهُ الأَسْوَدُ، وَقَتَلَهُ، وَكَسَرَ جَيْشَهُ مِنَ الأَبْنَاءِ، وَاحْتَلَّ بَلْدَةَ صَنْعَاءَ لِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً مِنْ مَخْرَجِهِ، فَفَرَّ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ مِنْ هُنَالِكَ، وَاجْتَازَ بِأَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، فَذَهَبَا إِلَى

(١) البداية والنهاية.
(٢) الأسود العنسي: هو عبهلة بن كعب بن غوث العنسي، وقبيلة عنس إحدى بطون مذحج، من بلدٍ يقال لها «كهف حنان»، ويقال له: ذو الخمار لأنه كان يضع على وجهه خماراً، فلا يظهره للناس، وكان كاهناً مشعوذاً، وساحراً بارعاً، كما كان لسناً ذا فصاحةٍ وبيانٍ.

حَضْرَمُوتَ، وَانْحَازَ عُمّالُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى الطَّاهِرِ، وَرَجَعَ عَمْرُو بنَ حَرَامٍ، وَخَالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العَاصِ إِلَى المَدِينَةِ، وَاسْتَوْثَقَتِ اليَمَنُ بِكَمَالِهَا لِلأَسْوَدِ العَنَسِيِّ، وَجَعَلَ أَمْرُهُ يَسْتَطِيرُ اسْتِطَارَةَ الشَّرَارَةِ. وَكَانَ جَيْشُهُ يَوْمَ لَقِيَ شَهَراً - سَبْعَمِائَةِ فَارِسٍ، وَأُمَرَاؤُهُ قَيْسُ بنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَمُعَاوِيَةُ بنُ قَيْسٍ، وَيَزِيدُ بنُ مَحْرَمِ بنِ حِصْنٍ الحَارِثيُّ، وَيَزِيدُ بنُ الأَفْكَلِ الأَزْدِيُّ. وَثَبَتَ مُلْكُهُ، وَاسْتَغْلَظَ أَمْرُهُ، وَارْتَدَّ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، وَعَامَلَهُ المُسْلِمُونَ الّذِينَ هُنَاكَ بِالتَّقِيَّةِ، وَكَانَ خَلِيفَتَهُ عَلَى مَذَحِجٍ - عَمْرُو بنُ مَعْدِي كَرِبٍ. وَأَسْنَدَ أَمْرَ الجُنْدِ إِلَى قَيْسِ بنِ عَبْدِ يَغُوثَ، وَأَسْنَدَ أَمْرَ الأَبْنَاءِ إِلَى فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ وَدَاذَوِيهْ. وَتَزَوَّجَ بِامْرَأَةِ شَهْرِ بنَ بَاذَامَ - وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّ فَيْرُوزِ الدَّيْلَمِيِّ، وَاسْمُهَا زَاذ، وَكَانَتْ امْرَأَةً حَسْنَاءَ جَمِيلَةً، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُؤْمِنَةٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّد، ﷺ، وَمِنَ الصَّالِحَاتِ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، كِتَابَهُ - حِينَ بَلَغَهُ خَبَرُ الأَسْوَدِ العَنَسِيِّ، مَعَ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: وَبَرُ بنُ يُحَنَّسَ الدَّيْلَمِيُّ؛ يَأْمُرُ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُنَاكَ بِمُقَاتَلَةِ الأَسْوَدِ العَنَسِيِّ، وَمُصَاوَلَتِهِ، وَقَامَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ بِهَذَا الكِتَابِ أَتَمَّ قِيَامٍ، وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ السُّكُونِ، يُقَالُ لَهَا: رَمْلَةُ فَحَزَّبَتْ عَلَيْهِ السُّكُونُ لِصَهْرِهِ فِيهِمْ،

وَقَامُوا مَعَهُ فِي ذَلِكَ، وَبَلَّغُوا هَذَا الكِتَابَ إِلَى عُمَّالِ النَّبِيِّ، ﷺ، وَمَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ، وَاتَّفَقَ اجْتِمَاعُهُمْ بِقَيْسِ بنِ عَبْدِ يَغُوثَ أَمِيرِ الجُنْدِ، وَكَانَ قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِ الأَسْوَدُ، وَاسْتَخَفَّ بِهِ، وَهَمَّ بِقَتْلِهِ. وَكَذَلِكَ كَانَ أَمْرُ فَيْرُوزَ الدَّيْلَمِيِّ، قَدْ ضَعُفَ عِنْدَهُ أَيْضاً، وَكَذَا دَاذَوِيهْ، فَلَمَّا أَعْلَمَ وَبَرُ بنُ يُحَنَّسَ قَيْسَ بنَ عَبْدِ يَغُوثَ، وَهُوَ قَيْسُ بنُ مَكْشُوحٍ، كَانَ كَأَنَّمَا نَزَلُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ، وَوَافَقَهُمْ عَلَى الفَتْكِ بِالأَسْوَدِ، وَتَوَافَقَ المُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَتَعَاقَدُوا عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَيْقَنَ ذَلِكَ فِي البَاطِنِ أَطْلَعَ شَيْطَانُ الأَسْوَدِ الأَسْوَدَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَدَعَا قَيْسَ بنَ مَكْشُوحٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا قَيْسُ: مَا يَقُول هَذَا؟ قَالَ: وَمَا يَقُولُ؟ قَالَ يَقُولُ: عَمَدْتَ إِلَى قَيْسٍ فَأَكْرَمْتَهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ مِنْكَ كُلَّ مَدْخَلٍ، وَصَارَ فِي العِزِّ مِثْلَكَ ـ مَالَ مَيْلَ عَدُوِّكَ، وَحَاوَلَ مُلْكَكَ، وَأَضْمَرَ عَلَى الغَدْرِ، إِنَّهُ يَقُولُ: يَا أَسْوَدُ يَا أَسْوَدُ، يَا سَوْأَةً يَا سَوْأَةً، اقْطُفْ قُنَّتَهُ، وَخُذْ مِنْ قَيْسٍ أَعْلاَهُ وَإِلاَّ سَلَبَكَ أَوْ قَطَفَ قُنَّتَكَ. فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ، وَحَلَفَ لَهُ: كَذَبَ وَذِي الخِمَارِ لأَنْتَ أَعْظَمُ فِي نَفْسِي وَأَجَلُّ عِنْدِي مِنْ أَنْ أُحَدِّثَ بِكَ نَفْسِي، فَقَالَ لَهُ الأَسْوَدُ: مَا إِخَالُكَ تَكْذِبُ المَلَكُ، فَقَدْ صَدَقَ المَلَكُ وَعَرَفَ الآنَ أَنَّكَ تَائِبٌ لِمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْكَ.

ثُمَّ خَرَجَ قَيْسُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، فَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِهِ: جُشْنِسَ، وَفَيْرُوزِ، وَدَاذوِيهْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَالَ لَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: إِنَّا كُلُّنَا عَلَى حَذَرٍ، فَمَا الرَّأْيُ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ يَشْتَوِرُونَ إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولُهُ فَأَحْضَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: أَلَمْ أُشَرِّفْكُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَمَاذَا يَبْلُغُنِي عَنْكُمْ؟ فَقَالُوا: أَقِلْنَا مَرَّتَنَا هَذِهِ، فَقَالَ: لاَ يَبْلُغُنِي عَنْكُمْ فَأُقِيلُكُمْ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ نَكَدْ، وَهُوَ فِي ارْتِيَابٍ مِنْ أَمْرِنَا، وَنَحْنُ عَلَى خَطَرٍ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي ذَلِكَ إِذْ جَاءَتْنَا كُتُبٌ مِنْ عَامِرِ بنِ شَهْرٍ أَمِيرِ هَمَدَانَ، وَذِي ظُلَيْمٍ، وَذِي الكِلاَعِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أُمَرَاءِ اليَمَنِ، يَبْذُلُونَ لَنَا الطَّاعَةَ وَالنَّصْرَ، عَلَى مُخَالَفَةِ الأَسْوَدِ، وَذَلِكَ حِينَ جَاءَهُمْ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، يَحُثُّهُمْ عَلَى مُصَاوَلَةِ الأَسْوَدِ العَنْسِيِّ، فَكَتَبْنَا إِلَيْهِمْ أَلاَّ يُحْدِثُوا شَيْئاً حَتَّى نُبْرِمَ الأَمْرَ. قَالَ قَيْسٌ: فَدَخَلْتُ عَلَى امْرَأَتِهِ زَاذَ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَةَ عَمِّي، قَدْ عَرَفْتِ بَلاَءَ هَذَا الرَّجُلِ عِنْدَ قَوْمِكِ؛ قَتَلَ زَوْجَكِ، وَطَأْطَأَ فِي قَوْمِكِ القَتْلَ، وَفَضَحَ النِّسَاءَ، فَهَلْ عِنْدَكَ مُمَالأَةٌ عَلَيْهِ؟ قَالَتْ: عَلَى أَيِّ أَمْرٍ؟ قُلْتُ: إِخْرَاجُهُ، قَالَتْ: أَوْ قَتْلَهُ، قُلْتُ: أَوْ قَتْلَهُ، قَالَتْ: نَعَمْ وَاللَّهِ مَا خَلَقَ اللَّهُ شَخْصاً هُوَ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْهُ، فَمَا يَقُومُ لِلَّهِ عَلَى حَقٍّ وَلاَ يَنْتَهِي لَهُ عَنْ حُرْمَةٍ، فَإِذَا عَزَمْتُمْ فَأَخْبِرُونِي أُعْلِمُكُمْ بِمَأْتَى هَذَا الأَمْرِ.

قَالَ: فَأَخْرُجُ فَإِذَا فَيْرُوزُ وَدَاذَوِيهْ يَنْتَظِرَانِي، يُرِيدُونَ أَنْ يُنَاهِضُوهُ، فَمَا اسْتَقَرَّ اجْتِمَاعُهُ بِهِمَا حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ الأَسْوَدُ فَدَخَلَ فِي عَشْرَةٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ بِالحَقِّ وَتُخْبِرْنِي بِالكَذَابَةِ؟ إِنَّهُ يَقُولُ يَا سَوْأَةً يَا سَوْأَةً؛ إِنْ لَمْ تَقْطَعْ مِنْ قَيْسٍ يَدَهُ يَقْطَعْ قُنَّتَكَ العُلْيَا، حَتَّى ظَنَّ قَيْسٌ أَنَّهُ قَاتِلُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الحَقِّ أَنْ أَقْتُلَكَ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَتْلِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَوْتَاتٍ أَمُوتُهَا كُلَّ يَوْمٍ، فَرَقَّ لَهُ، وَأَمَرَهُ بِالانْصِرَافِ، فَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اعْمَلُوا عَمَلَكُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ وُقُوفٌ بِالبَابِ يَثُورُونَ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَقَدْ جُمِعَ لَهُ مَائَةٌ مَا بَيْنَ بَقَرَةٍ وَبَعِيرٍ، فَقَامَ وَخَطَّ خَطّاً فَأُقِيمَتْ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَامَ مِنْ دُونِهَا، فَنَحَرَهَا، غَيْرَ مُحَبَّسَةٍ وَلاَ مُعَقَّلَةٍ، مَا يَقْتَحِمُ الخَطُّ مِنْهَا شَيْءٌ، ثُمَّ خَلاَّهَا فَجَالَتْ إِلَى أَنْ زَهِقَتْ أَرْوَاحُهَا. قَالَ قَيْسٌ: فَمَا رَأَيْتُ أَمْراً كَانَ أَفْظَعَ مِنْهُ، وَلاَ يَوْماً أَوْحَشَ مِنْهُ.

ثُمَّ قَالَ الأَسْوَدُ: أَحَقٌّ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ يَا فَيْرُوزُ؟ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْحَرَكَ فَأُلْحِقَكَ بِهَذِهِ البَهِيمَةِ، وَأَبْدَى لَهُ الحَرْبَةَ، فَقَالَ لَهُ فَيْرُوزُ: اخْتَرْتَنَا لِصِهْرِكَ، وَفَضَّلْتَنَا عَلَى الأَبْنَاءِ، فَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَبِيّاً مَا بِعْنَا نَصِيبَنَا مِنْكَ بِشَيْءٍ، فَكَيْفَ وَقَدْ اجْتَمَعَ لَنَا بِكَ أَمْرُ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا؟ فَلاَ تَقْبَلُ عَلَيْنَا أَمْثَالَ مَا يَبْلُغُكَ؛ فَإِنَّا بِحَيْثُ تُحِبُّ.

فَرَضِيَ عَنْهُ، وَأَمَرَهُ بِقَسْمِ لُحُومِ تِلْكَ الأَنْعَامِ، فَفَرَّقَهَا فَيْرُوزُ فِي أَهْلِ صَنْعَاءِ، ثُمَّ أَسْرَعَ اللِّحَاقَ بِهِ، فَإِذَا رَجُلٌ يُحَرِّضُهُ عَلَى فَيْرُوزَ، وَيَسْعَى إِلَيْهِ فِيهِ، وَاسْتَمَعَ لَهُ فَيْرُوزُ، فَإِذَا الأَسْوَدُ يَقُولُ: أَنَا قَاتِلُهُ غَدَاً وَأَصْحَابَهُ، فَاغْدُ عَلَيَّ بِهِ، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا بِفَيْرُوزَ، فَقَالَ: مَهٍ، فَأَخْبَرَهُ فَيْرُوزُ بِمَا صَنَعَ مِنْ قَسْمِ ذَلِكَ اللَّحْمِ، فَدَخَلَ الأَسْوَدُ دَارَهُ، وَرَجَعَ فَيْرُوزُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَعْلَمَهُمْ بِمَا سَمِعَ وَبِمَا قَالَ وَقِيلَ لَهُ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ عَاوَدُوا المَرْأَةَ فِي أَمْرِهِ، فَدَخَلَ أَحَدُهُمْ ـ وَهُوَ فَيْرُوزُ ـ إِلَيْهَا فَقَالَتْ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الدَّارِ بَيْتٌ إِلاَّ وَالحَرَسُ مُحِيطُونَ بِهِ، غَيْرَ هَذَا البَيْتِ؛ فَإِنَّ ظَهْرَهُ إِلَى مَكَانِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الطَّرِيقِ، فَإِذَا أَمْسَيْتُمْ فَانْقُبُوا عَلَيْهِ فَإِنَّكُمْ مِنْ دُونِ الحَرَسِ، وَلَيْسَ مِنْ دُونِ قَتْلِهِ شَيْءٌ، وَإِنِّي سَأَضَعُ فِي البَيْتِ سِرَاجَاً وَسِلاَحَاً.

فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا تَلَقَّاهُ الأَسْوَدُ فَقَالَ لَهُ: مَا أَدْخَلَكَ عَلَى أَهْلِي؟ وَوَجَأَ رَأْسَهُ، وَكَانَ الأَسْوَدُ شَدِيدَاً. فَصَاحَتِ المَرْأَةُ فَأَدْهَشَتْهُ عَنْهُ، وَلَوْلاَ ذَلِكَ لَقَتَلَهُ، وَقَالَتْ: ابنُ عَمِّي جَاءَنِي زَائِرَاً، فَقَالَ: اسْكُتِي لاَ أَبَا لَكِ، قَدْ وَهَبْتُهُ لَكِ، فَخَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: النَّجَاءَ النَّجَاءَ، وَأَخْبَرَهُمُ الخَبَرَ، فَحَارُوا مَاذَا يَصْنَعُونَ؟ فَبَعَثَتِ المَرْأَةُ إِلَيْهِمْ تَقُولُ لَهُمْ: لاَ تَنْثَنُوا عَمَّا كُنْتُمْ

عَازِمِينَ عَلَيْهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ فَاسْتَثْبَتَ مِنْهَا الخَبَرَ، وَدَخَلُوا إِلَى ذَلِكَ البَيْتِ فَنَقَبُوا مِنْ دَاخِلِهِ بَطَائِنَ لِيَهُونَ عَلَيْهِمُ النَّقْبُ مِنَ الخَارِجِ، ثُمَّ جَلَسَ عِنْدَهَا جَهْرَةً كَالزَّائِرِ، فَدَخَلَ الأَسْوَدُ فَقَالَ: وَمَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، فَنَهَرَهُ وَأَخْرَجَهُ فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ.

فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ نَقَبُوا ذَلِكَ البَيْتَ فَدَخَلُوا فَوَجَدُوا فِيهِ سِرَاجاً تَحْتَ جَفْنَةٍ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ وَالأَسْوَدُ نَائِمٌ عَلَى فِرَاشٍ مِنْ حَرِيرٍ، قَدْ غَرِقَ رَأْسُهُ فِي جَسَدِهِ، وَهُوَ سَكْرَانُ يَغُطُّ، وَالمَرْأَةُ جَالِسَةٌ عِنْدَهُ، فَلَمَّا قَامَ فَيْرُوزُ عَلَى البَابِ أَجْلَسَهُ شَيْطَانُهُ، وَتَكَلَّمَ عَلَى لِسَانِهِ ـ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَغُطُّ ـ فَقَالَ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا فَيْرُوزُ؟ فَخَشِيَ إِنْ رَجَعَ أَنْ يَهْلِكَ وَتَهْلِكَ المَرْأَةُ، فَعَاجَلَهُ وَخَالَطَهُ، وَهُوَ مِثْلُ الجَمَلِ، فَأَخَذَ بِرَأْسِهِ فَدَقَّ عُنُقَهُ وَوَضَعَ رُكْبَتَيْهِ فِي ظَهْرِهِ حَتَّى قَتَلَهُ، ثُمَّ قَامَ لِيَخْرُجَ إِلَى أَصْحَابِهِ لِيُخْبِرَهُمْ، فَأَخَذَتِ المَرْأَةُ بِذَيْلِهِ، وَقَالَتْ: أَيْنَ تَذْهَبُ عَنْ حُرْمَتِكَ؟ فَظَنَّتْ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ، فَقَالَ: أَخْرُجُ لأُعْلِمَهُمْ بِقَتْلِهِ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ لِيَحْتَزُّوا رَأْسَهُ، فَحَرَّكَهُ شَيْطَانُهُ فَاضْطَرَبَ، فَلَمْ يَضْبِطُوا أَمْرَهُ حَتَّى جَلَسَ اثْنَانِ عَلَى صَدْرِهِ، وَأَخَذَتِ المَرْأَةُ بِشَعْرِهِ، وَجَعَلَ يُبَرْبِرُ بِلِسَانِهِ، فَاحْتَزَّ الآخَرُ رَقَبَتَهُ، فَخَارَ كَأَشَدِّ

خُوَارِ ثَوْرٍ سُمِعَ قَطُّ، فَابْتَدَرَ الحَرَسُ إِلَى المَقْصُورَةِ، فَقَالُوا: مَا هَذَا؟ مَا هَذَا؟ مَا هَذَا؟ فَقَالَتِ المَرْأَةُ: النَّبِيُّ يُوحَى إِلَيْهِ، فَرَجَعُوا، وَجَلَسَ قَيْسٌ، وَدَاذَوِيهْ، وَفَيْرُوزُ يَأْتَمِرُونَ كَيْفَ يُعْلِمُونَ أَشْيَاعَهُمْ؟ فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الصَّبَاحُ يُنَادُونَ بِشِعَارِهِمْ الَّذِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ المُسْلِمِينَ، فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ قَامَ أَحَدُهُمْ ـ وَهُوَ قَيْسُ ـ عَلَى سُورِ الحِصْنِ فَنَادَى بِشِعَارِهِمْ، فَاجْتَمَعَ المُسْلِمُونَ وَالكَافِرُونَ حَوْلَ الحِصْنِ، فَنَادَى قَيْسٌ ـ وَيُقَالُ وَبَرُ بنُ يُحَنَّسَ ـ الأَذَانَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ عَبْهَلَةَ كَذَّابٌ، وَأَلْقَى إِلَيْهِمْ رَأْسَهُ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ وَتَبِعَهُمُ النَّاسُ يَأْخُذُونَهُمْ وَيَرْصُدُونَهُمْ فِي كُلِّ طَرِيقٍ يَأْسِرُونَهُمْ، وَظَهَرَ الإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ، وَتَرَاجَعَ نُوَّابُ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، إِلَى أَعْمَالِهِمْ، وَتَنَازَعَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ فِي الإِمَارَةِ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَكَتَبُوا بِالخَبَرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، وَقَدْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى الخَبَرِ مِنْ لَيْلَتِهِ. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَتَى الخَبَرُ إِلَى النَّبِيِّ، ﷺ، مِنَ السَّمَاءِ اللَّيْلَةَ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا العَنَسِيُّ لِيُبَشِّرَنَا، فَقَالَ: قُتِلَ العَنَسِيُّ البَارِحَةَ قَتَلَهُ رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ مُبَارَكِينَ، قِيلَ: وَمَنْ؟ قَالَ: فَيْرُوزُ، فَازَ فَيْرُوزُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مُدَّةَ مُلْكِهِ مُنْذُ ظَهَرَ إِلَى أَنْ قُتِلَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ،

وَيُقَالُ: أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ فَيْرُوزُ: قَتَلْنَا الأَسْوَدَ، وَعَادَ أَمْرُنَا فِي صَنْعَاء كَمَا كَانَ، إِلاَّ أَنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ فَتَرَاضَيْنَا عَلَيْهِ، فَكَانَ يُصَلِّي بِنَا فِي صَنْعَاءَ، فَوَاللَّهِ مَا صَلَّى بِنَا إِلاَّ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى أَتَانَا الخَبَرُ بِوَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَانْتَفَضَتِ الأُمُورُ، وَأَنْكَرْنَا كَثِيراً مِمَّا كُنَّا نَعْرِفُ، وَاضْطَرَبَتِ الأَرْضُ.

طَمِعَ قَيْسُ بنُ مَكْشُوحٍ فِي الإِمْرَةِ بِاليَمَنِ، فَعَمِلَ لِذَلِكَ، وَارْتَدَّ عَنِ الإِسْلاَمِ، وَتَابَعَهُ عَوَامُّ أَهْلِ اليَمَنِ، وَكَتَبَ الصِّدِّيقُ إِلَى الأُمَرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ أَنْ يَكُونُوا عَوْناً إِلَى فَيْرُوزِ وَالأَبْنَاءِ عَلَى قَيْسِ بنِ مَكْشُوحٍ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ جُنُودُهُ سَرِيعاً، وَحَرَص قَيْسٌ عَلَى قَتْلِ الأَمِيرَيْنِ ـ فَيْرُوزَ وَدَاذَوِيهْ ـ فَلَمْ يَقْدِرْ إِلاَّ عَلَى دَاذَوِيهْ، وَاحْتَرَزَ مِنْهُ فَيْرُوزُ الدَّيْلَمِيُّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَمِلَ طَعَاماً وَأَرْسَلَ إِلَى دَاذَوِيهْ أَوَّلاً، فَلَمَّا جَاءَهُ عَجَّلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى فَيْرُوزَ لِيَحْضَرَ عِنْدَهُ، فَلَمَّا كَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ سَمِعَ امْرَأَةً تَقُولُ لأُخْرَى: وَهَذَا وَاللَّهِ مَقْتُولٌ كَمَا قُتِلَ صَاحِبُهُ، فَرَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ، وَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِقَتْلِ دَاذَوِيهْ، وَخَرَجَ إِلَى أَخْوَالِهِ خَوْلاَنَ، فَتَحَصَّنَ عِنْدَهُمْ، وَسَاعَدَتْهُ عُقَيْلٌ، وَعَكٌّ وَخَلْقٌ، وَعَمِلَ قَيْسٌ إِلَى ذَرَارِي فَيْرُوزَ وَدَاذَوِيهْ وَالأَبْنَاءِ فَأَجْلاَهُمْ عَنِ

الْيَمَنِ، وَأَرْسَلَ طَائِفَةً فِي الْبَرِّ وَطَائِفَةً فِي الْبَحْرِ، فَاحْتَدَّ فَيْرُوزُ فَخَرَجَ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ فَتَصَافَّ هُوَ وَقَيْسٌ فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً فَهَزَمَ فَيْرُوزُ قَيْساً وَجُنْدَهُ مِنَ الْعَوَامِّ، وَبَقِيَّةَ جُنْدِ الأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ، فَهُزِمُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَأُسِرَ قَيْسٌ وَعَمْرُو بنُ مَعْدِي كَرِبٍ، وَكَانَ عَمْرٌو قَدِ ارْتَدَّ أَيْضاً، وَبَايَعَ الأَسْوَدَ الْعَنْسِيَّ، وَبَعَثَ بِهِمَا الْمُهَاجِرُ بنُ أَبِي أُمَيَّةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَسِيرَيْنِ فَعَنَّفَهُمَا وَأَنَّبَهُمَا، فَاعْتَذَرَا إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُمَا عَلاَنِيَتَهُمَا، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَطْلَقَ سَرَاحَهُمَا وَرَدَّهُمَا إِلَى قَوْمِهِمَا، وَرَجَعَتْ عُمَّالِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، الَّذِينَ كَانُوا بِالْيَمَنِ إِلَى أَمَاكِنِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي حَيَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَعْدَ حُرُوبٍ طَوِيلَةٍ[١].

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ رَجَعَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ مِنَ الْيَمَنِ.

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير.

العَوْدَةُ مِنَ اليَمَنِ

بَقِيَ مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي اليَمَنِ، عَلَى إِقْلِيمِ جَنَدٍ، وَمَا عَادَ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، قَدْ تُوفِّيَ. وَرَجَعَ مُبَاشَرَةً إِلَى الحَجِّ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَلِيفَةَ المُسْلِمِينَ، وَقَدِ اسْتَعْمَلَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ عَلَى الحَجِّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَالْتَقَى مُعَاذٌ بِعُمَرَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ بِمِنًى فَاعْتَنَقَا وَعَزَّى كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، ثُمَّ أَخْلَدَا إِلَى الأَرْضِ يَتَحَدَّثَانِ، فَرَأَى عُمَرُ عِنْدَ مُعَاذٍ غِلْمَاناً فَقَالَ: مَا هَؤُلاَءِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ؟ قَالَ: أَصَبْتُهُمْ فِي وَجْهِي هَذَا.

قَالَ عُمَرُ: مِنْ أَيِّ وَجْهٍ؟.

قَالَ مُعَاذٌ: أُهْدُوا إِلَيَّ وَأُكْرِمْتُ بِهِمْ.

قَالَ عُمَرُ: اذْكُرْهُمْ لأَبِي بَكْرٍ.

قَالَ مُعَاذٌ: مَا ذِكْرِي هَذَا لأَبِي بَكْرٍ.

وَنَامَ مُعَاذٌ فَرَأَى فِي النَّوْمِ كَأَنَّهُ عَلَى شَفِيرِ النَّارِ، وَعُمَرُ آخِذٌ

بِحُجْزَتِهِ مِنْ وَرَائِهِ يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي النَّارِ. فَفَزِعَ مُعَاذٌ فَقَالَ: هَذَا مَا أَمَرَنِي بِهِ عُمَرُ. فَقَدِمَ مُعَاذٌ فَذَكَرَهُمْ لأَبِي بَكْرٍ فَسَوَّغَهُ أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ، وَقَضَى بَقِيَّةَ غُرَمَائِهِ، وَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، يَقُولُ: لَعَلَّ اللَّهَ يَجْبُرُكَ[1].

وَرَوَى الزُّهْرِيُّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ كَعْبٍ، قَالَ: كَانَ مُعَاذُ شَابّاً جَمِيلاً سَمْحاً مِنْ خِيرَةِ شَبَابِ قَوْمِهِ لاَ يُسأَلُ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ، حَتَّى كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ أَغْلَقَ مَالَهُ كُلَّهُ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، أَن يُكَلِّمَ لَهُ غُرَمَاءَهُ فَفَعَلَ، فَلَمْ يَضَعُوا لَهُ شَيْئاً، فَلَوْ تَرَكَ أَحَدٌ لِكَلاَمِ أَحَدٍ لَتَرَكَ لِمُعَاذٍ لِكَلاَمِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَدَعَاهُ النَّبِيُّ، ﷺ، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى بَاعَ مَالَهُ، وَقَسَّمَهُ بَيْنَهُمْ، فَقَامَ مُعَاذٌ وَلاَ مَالَ لَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ عَلَى اليَمَنِ لِيَجْبُرَهُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَجَرَ فِي هَذَا المَالِ، فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: هَلْ لَكَ يَا مُعَاذُ أَنْ تُطِيعَنِي؟ تَدْفَعُ هَذَا المَالَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَإِنْ أَعْطَاكَهُ فَاقْبَلْهُ، فَقَالَ: لاَ أَدْفَعُهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي نَبِيُّ اللَّهِ لِيَجْبُرَنِي، فَانْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: خُذْ مِنْهُ وَدَعْ لَهُ، قَالَ: مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ، وَإِنَّمَا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، لِيَجْبُرَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مُعَاذٌ، انْطَلَقَ إِلَى عُمَرَ، فَقَالَ: مَا أَرَانِي إِلاَّ

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٨٨.

فَاعِلٌ الَّذِيْ قُلْتَ، لَقَدْ رَأَيْتَنِي البَارِحَةَ، أَظُنُّهُ قَالَ: أُجَرُّ إِلَى النَّارِ، وَأَنْتَ آخِذٌ بِحُجْزَتِي. فَانْطَلَقَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ، حَتَّى جَاءَ بِسَوْطِهِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ لَكَ لاَ آخُذُ مِنْهُ شَيْئَاً، وَفِي لَفْظٍ، قَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ، فَقَالَ عُمَرُ: هَذَا حِيْنَ حَلَّ وَطَابَ، وَخَرَجَ مُعَاذٌ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الشَّامِ[1].

(١) سير أعلام النبلاء.

فِي الشَّام

اسْتَأْذَنَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ الخَلِيفَةَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بِالخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالمُشَارَكَةِ بِالفَتْحِ فَأَذِنَ لَهُ، وَخَرَجَ رَغْمَ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ كَانَ يَرَى غَيْرَ ذَلِكَ حَيْثُ يَرْغَبُ أَنْ يَبْقَى مُعَاذٌ فِي المَدِينَةِ لِيَفِيدَ النَّاسُ مِنْ عِلْمِهِ. فَيَقُولُ الفَارُوقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقَدْ أَخَلَّ خُرُوجُهُ بِالمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا فِي الفِقْهِ وَفِيمَا كَانَ يُفْتِيهِمْ بِهِ، وَلَقَدْ كُنْتُ كَلَّمْتُ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَحْبِسَهُ لِحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَأَبَى عَلَيَّ، وَقَالَ: رَجُلٌ أَرَادَ وَجْهاً، يَعْنِي الشَّهَادَةَ، فَلاَ أَحْبِسُهُ. قُلْتُ: إِنَّ الرَّجُلَ لِيُرْزَقُ الشَّهَادَةَ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ[1].

انْطَلَقَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ إِلَى الشَّامِ، وَشَارَكَ فِي فَتْحِهَا، وَخَاضَ أَكْثَرَ المَعَارِكِ الَّتِي جَرَتْ عَلَى سَاحَتِهَا: اليَرْمُوكَ، وَفَتْحَ دِمَشْقَ، وَأَجْنَادِينَ، وَفِحْلَ. وَلَمَّا تَمَّ الفَتْحُ سَاهَمَ فِي تَعْلِيمِ المُسْلِمِينَ هُنَاكَ.

---

(١) سير أعلام النبلاء.

قَالَ أَبُو إِدْرِيسَ الخَوْلاَنِيُّ دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى بَرَّاقُ الثَّنَايَا، وَإِذَا نَاسٌ مَعَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَذَا مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَهْجِيرِ فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاَتَهُ ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّه إِنِّي لأُحِبُّكَ لِلّهِ، قَالَ: فَقَالَ: اللَّهُ، فَقُلْتُ: اللَّهُ، قَالَ: اللَّهُ، فَقُلْتُ اللَّهُ. قَالَ: فَأَخَذَ بِحَبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ رَحْمَتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ(١).

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ الخَوْلاَنِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ حِمْصَ، فَإِذَا فِيْهِ نَحْوٌ مِنْ ثَلاَثِينَ كَهْلاً مِنَ الصَّحَابَةِ، فَإِذَا فِيْهِمْ شَابٌ، أَكْحَلُ العَيْنَيْنِ، بَرَّاقُ الثَّنَايَا، سَاكِتٌ، فَإِذَا امْتَرَى القَوْمُ، أَقْبَلُوا عَلَيْهِ، فَسَأَلُوهُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، فَوَقَعَتْ مَحَبَّتُهُ فِي قَلْبِي(٢).

كَانَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، سَاعِدَ أَبِي عُبَيْدَةَ الأَيْمَنَ فِي الشَّامِ. وَقَدْ

---

(١) طبقات ابن سعد.

(٢) سير أعلام النبلاء.

رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ عِنْدَمَا خَطَبَ فِي الجَابِيَةِ: مَنْ أَرَادَ الفِقْهَ فَلْيَأْتِ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ. وَعِنْدَمَا يُرْسِلُ أَبُو عُبَيْدَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، القَائِدُ العَامُ لِلْجُيُوشِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي الشَّامِ رِسَالَةً، إِلَى أَمِيْرِ المُؤْمِنِينَ، عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ تَكُونُ بِاسْمِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَمُعَاذٍ مَعَاً، وَكَذَا يَكُونُ الجَوَابُ إِلَيْهِمَا، وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الحِلْيَةِ إِحْدَى هَذِهِ الرَّسَائِلِ، وَقَدْ جَاءَ فِيْهَا:

مِنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ وَمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّا عَهِدْنَاكَ وَأَمْرُ نَفْسِكَ لَكَ مُهِمٌّ، فَأَصْبَحْتَ قَدْ وُلِّيتَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ، أَحْمَرِهَا وَأَسْوَدِهَا، يَجْلُسُ بَيْنَ يَدَيْكَ الشَّرِيفُ وَالوَضِيعُ، وَالعَدُوُّ وَالصَّدِيقُ، وَلِكُلٍّ حِصَّتُهُ مِنَ العَدْلِ، فَانْظُرْ كَيفَ أَنْتَ عِنْدَ ذَلِكَ يَا عُمَرُ، فَإِنَّا نُحَذِّرُكَ يَوْمَاً تَعْنِي فِيْهِ الوُجُوهُ، وَتَجِفُّ فِيْهِ القُلُوبُ، وَتَنْقَطِعُ فِيْهِ الحُجَجُ لِحُجَّةِ مَلِكٍ قَهَرَهُمْ بِجَبَرُوتِهِ، فَالخَلْقُ دَاخِرُونَ لَهُ، يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ، وَيَخَافُونَ عِقَابَهُ. وَإِنَّا كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ سَيَرْجِعُ فِي آخِرِ زَمَانِهَا أَنْ يَكُونَ إِخْوَانُ العَلَانِيَةِ أَعْدَاءَ السَّرِيرَةِ، وَإِنَّا نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ يَنْزِلَ كِتَابُنَا إِلَيْكَ سِوَى المَنْزِلِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قُلُوبِنَا، فَإِنَّا كَتَبْنَا بِهِ نَصِيحَةً لَكَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.

وَأَجَابَهُمَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ بِكِتَابٍ جَاءَ فِيْهِ:

مِنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ وَمُعَاذٍ: سَلاَمٌ عَلَيْكُمَا، أَمَّا بَعْدُ:

أَتَانِي كِتَابُكُمَا تُذَكِّرَانِ فِيْهِ... وَكَتَبْتُمَا فِيْهِ: فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ عِنْدَ ذَلِكَ يَا عُمَرُ؛ وَإِنَّهُ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ لِعُمَرَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلاَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَتَبْتُمَا تُحَذِّرَانِي مَا حُذِّرَتْ مِنْهُ الأُمَمُ قَبْلَنَا، وَقَدِيماً كَانَ اخْتِلاَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِآجَالِ النَّاسِ يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، وَيُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعُودٍ حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ. وَكَتَبْتُمَا تُحَذِّرَانِي أَنَّ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ سَيَرْجِعُ فِي آخِرِ زَمَانِهَا أَنْ يَكُونَ إِخْوَانُ العَلاَنِيَةِ أَعْدَاءَ السَّرِيرَةِ، وَلَسْتُمْ بِأُولَئِكَ وَلَيْسَ هَذَا بِزَمَانِ ذَاكَ، وَذَلِكَ زَمَانٌ تَظْهَرُ فِيْهِ الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ، وَتَكُونُ رَغْبَةُ النَّاسِ إِلَى بَعْضِهِمْ لِصَلاَحِ دُنْيَاهُمْ. وَإِنَّكُمَا كَتَبْتُمَا نَصِيحَةً لِي وَقَدْ صَدَقْتُمَا فَلاَ تَدَعَا الكِتَابَ إِلَيَّ، فَإِنَّهُ لاَ غِنَى بِي عَنْكُمَا، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا.

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخَذَ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، فَقَالَ لِغُلاَمٍ: اذْهَبْ بِهَا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، ثُمَّ تَلَهَّ سَاعَةً فِي البَيْتِ حَتَّى تَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، قَالَ: فَذَهَبَ بِهَا الغُلاَمُ، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ

المُؤْمِنِينَ: خُذْ هَذِهِ، فَقَالَ: وَصَلَهُ اللَّهُ وَرَحِمَهُ، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَيْ يَا جَارِيَةُ! اذْهَبِي بِهَذِهِ السَّبْعَةِ إِلَى فُلَانٍ، وَبِهَذِهِ الخَمْسَةِ إِلَى فُلَانٍ، حَتَّى أَنْفَذَهَا، فَرَجَعَ الغُلَامُ إِلَى عُمَرَ، وَأَخْبَرَهُ، فَوَجَدَهُ قَدْ أَعَدَّ مِثْلَهَا لِمُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، فَأَرْسَلَهُ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ مُعَاذُ: وَصَلَهُ اللَّهُ، يَا جَارِيَةُ اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا، وَلِبَيْتِ فُلَانٍ بِكَذَا. فَاطَّلَعَتْ امْرَأَةُ مُعَاذٍ، فَقَالَتْ: وَنَحْنُ وَاللَّهِ مَسَاكِينَ، فَأَعْطِنَا، وَلَمْ يَبْقَ فِي الخِرْقَةِ إِلاَّ دِينَارَانِ فَدَحَا بِهِمَا إِلَيْهَا. وَرَجَعَ الغُلَامُ، فَأَخْبَرَ عُمَرَ، فَسُرَّ بِذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّهُمْ إِخْوَةٌ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ[١]. وَعِنْد ابْنِ سَعْدٍ، قَالَ عُمَرُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي الإِسْلَامِ مَنْ يَصْنَعُ هَذَا[٢].

وَلَمَّا اشْتَدَّ الوَجَعُ عَلَى أَبِي عُبَيْدَةَ فِي طَاعُونِ عَمَوَاسَ اسْتَخْلَفَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ.

(١) سير أعلام النبلاء.
(٢) طبقات ابن سعد في ترجمة أبي عبيدة بن الجراح.

وَفَاةُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لَمَّا أُصِيبَ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ فِي طَاعُونِ عَمَوَاسَ اسْتَخْلَفَ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ. وَاشْتَدَّ الوَجَعُ فَقَالَ النَّاسُ لِمُعَاذٍ: ادْعُ اللَّهَ يَرْفَعْ عَنَّا هَذَا الرِّجْزَ، قَالَ: إِنَّهُ لَيسَ بِرِجْزٍ، وَلَكِنَّهُ دَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، ﷺ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَشَهَادَةٌ يَخْتَصُّ بِهَا اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، أَرْبَعُ خِلاَلٍ مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يُدْرِكُهُ شَيْءٌ مِنْهُنَّ فَلاَ يُدْرِكْهُ. قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: يَأْتِي زَمَانٌ يَظْهَرُ فِيْهِ البَاطِلُ، وَيُصْبِحُ الرَّجُلُ عَلَى دِينٍ وَيُمْسِي عَلَى آخَرَ، وَيَقُولُ الرَّجُلُ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي عَلَى مَا أَنَا، لاَ يَعِيشُ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَلاَ يَمُوتُ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَيُعْطَى الرَّجُلَ المَالَ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلاَمِ الزُّورِ الَّذِي يُسْخِطُ اللَّهَ. اللَّهُمَّ آتِ آلَ مُعَاذٍ نَصِيبَهُمْ الأَوْفَى مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ. فَطُعِنَ ابْنَاهُ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدَانِكُمَا، قَالاَ: يَا أَبَانَا الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ. قَالَ: وَأَنَا سَتَجِدَانِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. ثُمَّ

طُعِنَتْ امْرَأَتَاهُ فَهَلَـكَتَا، وَطُعِنَ هُوَ فِي إِبْهَامِهِ، فَجَعَلَ يَمَسُّهَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّهَا صَغِيرَةٌ فَبَارِكْ فِيْهَا فَإِنَّكَ تُبَارِكُ فِي الصَّغِيرِ. حَتَّى هَلَكَ.

عَنِ الحَارِثِ بنِ عُمَيْرَةَ الزَّبِيدِيِّ قَالَ: إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، وَهُوَ يَمُوتُ، فَهُوَ يُغْمَى عَلَيْهِ مَرَّةً، وَيُفِيقُ مَرَّةً، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ إِفَاقَتِهِ؛ اخْنُقْ خَنِقَكَ. فَوَعِزَّتِكَ إِنِّي لأُحِبُّكَ.

وَرَوَى سَلَمَةُ بنُ كُهَيْل فَقَالَ: أَخَذَ مُعَاذاً الطَّاعُونُ فِي حَلْقِهِ فَقَـالَ: يَـا رَبِّ إِنَّـكَ لَتَخْنُقُنِـي وَإِنَّـكَ لَتَعْلَـمُ أَنِّـي أُحِبُّكَ.

وَعَنْ دَاوُدَ بنِ الحُصَيْنِ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ لَمَا وَقَعَ الوَجَعُ عَامَ عَمَوَاسَ، قَالَ أَصْحَابُ مُعَاذٍ: هَذَا رِجْزٌ قَدْ وَقَعَ، فَقَالَ مُعَاذٌ: أَتَجْعَلُونَ رَحْمَةً رَحِمَ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ كَعَذَابٍ عَذَّبَ اللَّهُ بِهِ قَوْمَاً سَخِطَ عَلَيْهِمْ؟ إِنَّمَا هِيَ رَحْمَةٌ خَصَّـكُمُ اللَّهُ بِهَا، وَشَهَادَةٌ خَصَّـكُمُ اللَّهُ بِهَا، اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَى مُعَاذٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْـكُمْ أَنْ يَمُوتَ فَلْيَمُتْ مِنْ قَبْلِ فِتَنٍ سَتَـكُونُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكْفُرَ المَرْءُ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ، أَوْ يَقْتُلَ نَفْساً بِغَيْرِ حِلِّهَا، أَوْ يُظَاهِرَ أَهْلَ البَغْيِ، أَوْ يَقُولَ الرَّجُلُ مَا أَدْرِي عَلَى

مَا أَنَا إِنْ مِتُّ أَوْ عِشْتُ أَعَلَى حَقٍّ أَوْ عَلَى بَاطِلٍ[١].

وَمَا ذَلِكَ إِلاَّ لأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، قَالَ: (الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ إِذَا صَبَرَ وَرَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ)[٢]. كَمَا رَوَى مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: (سَتُهَاجِرُونَ إِلَى الشَّامِ، فَيُفْتَحُ عَلَيْكُمْ، وَيَكُونُ فِيكُمْ دَاءٌ كَالدُّمَّلِ ـ أَوَ كَالحَزَّةِ ـ يَأْخُذُ بِمَرَاقِ الرَّجُلِ، يَسْتَشْهِدُ اللَّهُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيُزَكِّي بِهَا أَعْمَالَهُمْ، قَالَ مُعَاذٌ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ، فَأَعْطِهِ هُوَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ الحَظَّ الأَوْفَرَ مِنْهُ) فَأَصَابَهُمُ الطَّاعُونُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَطُعِنَ مُعَاذٌ فِي أَصْبُعِهِ السَّبَابَةِ، فَكَانَ يَقُولُ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا حُمْرُ النَّعَمِ[٣].

لَقَدْ كَانَ مُعَاذٌ يَخْشَى أَنْ تُدْرِكَهُ الفِتَنُ الَّتِي تَحَدَّثَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ، لِذَا أَحَبَّ العَاجِلَةَ فِي المَوْتِ، وَرَجَا أَنْ تَكُونَ لَهُ الشَّهَادَةُ بِالطَّاعُونِ.

تُوفِّي مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي طَاعُونِ عَمَوَاسَ أَيَّ سَنَةَ

---

(١) طبقات ابن سعد.
(٢) متفق عليه.
(٣) مسند الإمام أحمد.

ثَمَانِيَ عَشْرَةَ، وَبِذَا يَكُونُ قَدْ عَاشَ ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ سَنَةً، لِأَنَّهُ وُلِدَ فِي السَّنَةِ العِشْرِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، وَبِذَا يَكُونُ مَوْتُهُ وَهُو فِي بِدَايَةِ سَنَوَاتِ الكُهُولَةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أُسْرَة مُعَاذ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ

تَزَوَّجَ مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أُمَّ عَمْرٍو بِنْتَ خَالِدِ بنِ عَمْرٍو مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، وَقَدْ أَنْجَبَتْ لَهُ فَتَاةً عُرِفَتْ بِاسْمِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَدْ بَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ، ﷺ، رَغْمَ صِغَرِ سِنِّهَا حَيْثُ لَمْ تَتَجَاوَزِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ عِنْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعِنْدَمَا بُعِثَ مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِلَى اليَمَنِ تَزَوَّجَ هُنَاكَ مِنْ قَبِيلَةِ السُّكُونِ، وَقَدْ نَاصَرَتْهُ هَذِهِ القَبِيلَةِ عِنْدَمَا وَقَعَتِ الفِتْنَةُ فِي اليَمَنِ.

وَكَانَ لَهُ وَلَدَانِ يُعْرَفُ أَحَدُهُمَا بِاسْمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَبِهِ يُكَنَّى مُعَاذٌ، وَلَمْ يُعْرَفِ اسْمُ الآخَرِ. وَذَلِكَ لأَنَّ الطَّاعُونَ قَدْ أَتَى عَلَى الأُسْرَةِ كُلِّهَا، فَلَمْ يَشْتَهِرِ الأَوْلَادُ إِذْ مَاتُوا صِغَاراً.

كَلِمَةٌ أَخِيرَةٌ

لَقَدْ كَانَ مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَثَلاً يُحْتَذَى بِهِ فِي حِرْصِهِ عَلَى العِلْمِ، وَتَسْخِيرِ كُلِّ إِمْكَانَاتِهِ لِذَلِكَ حَتَّى غَدَا عَالِماً حُجَّةً يُرْجَعُ إِلَيْهِ عِنْدَ المُلِمَّاتِ، وَفِي حِرْصِهِ عَلَى البَذْلِ وَالعَطَاءِ مِمَّا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ. وَفِي حِرْصِهِ عَلَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِرَفْعِ رَايَةِ الإِسْلاَمِ وَإِعْلاَءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، فَلَمْ يَتَوَانَ عَنْ غَزْوَةٍ، وَلَمْ يَتَأَخَّرْ عَنِ الالْتِحَاقِ بِسَرِيَّةٍ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ مَعْرَكَةٍ، وَثَبْتَ فِي كُلِّ لِقَاءٍ.

كَمَا كَانَ مَثَلاً فِي بُعْدِهِ عَنْ مَبَاهِجِ الدُّنْيَا وَمُغْرِيَاتِهَا، وَعَنْ حُطَامِهَا وَزَخَارِفِهَا، وَكَانَ حَرِيصاً عَلَى الوُصُولِ إِلَى الآخِرَةِ مُزَوَّداً بِالتَّقْوَى لِيَنَالَ الدَّرَجَاتِ العُلَى فِي الجَنَةِ، غَيْرَ مُبَالٍ بِغَيْرِ هَذَا فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ.

وَبِهَذَا كَانَ أَحَدَ بُنَاةِ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ، وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يُرِيدُ لأُمَّتِهِ الرِّفْعَةَ أَنْ يَسْلُكَ السَّبِيلَ الَّتِي سَلَكَهَا مُعَاذٌ، رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ، فِي طَلَبِ العِلْمِ، وَالعَطَاءِ، وَالجِهَادِ، وَالسعيِ إِلَى الآخِرَةِ، وَالترَفُّعِ عَنِ المَظَاهِرِ الخَدَّاعَةِ البَرَّاقَةِ.